الهِجْرَةُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المدِينَةِ

وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية ونجح الإسلام فى تأسيس وطن له وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة - وهو أخطر كسب حصل عليه الإسلام منذ بداية دعوته - أذن رسول الله للمسلمين بالهجرة إلى هذا الوطن[١] فهاجر الصحابة تاركين الوطن والأهل والمال فى مكة ليسلم لهم الدين .

النَّبِيُّ ﷺ يَرَى فِى مَنَامِهِ مَوْطِنَ الهِجْرَةِ:

لم يكن اختيار يثرب دارًا للهجرة مما اقتضته ظروف الدعوة فحسب ؛ وإنما كان ذلك بوحى من الله جلا وعلا .

عَنْ أَبِي مُوسَى أُرَاهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنْ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا وَاللَّهُ خَيْرٌ فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنْ الْخَيْرِ وَثَوَابِ الصِّدْقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ**» [٢] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «**قد رأيت دار هجرتكم، أريت سبخة[٣] ذات نخل بين لابتين، وهما حرتان**» [٤] [٥] .

فخرج من كان مهاجرًا قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ، ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين[٦] .

السَّابِقُونَ إِلَى الهِجْرَةِ:

١- كان من أول المهاجرين أبو سلمة - هاجر قبل العقبة الكبرى بسنة على ما قاله

---

(١) الرحيق المختوم ١٤٨ .
(٢) أخرجه البخاري٣٦٢٢ ، ومسلم٢٢٧٢ .
(٣) سبخة: الأرض المالحة ولا تنبت إلا بعض الشجر .
(٤) الحرة: الأرض ذات الحجارة السود .
(٥) أخرجه البخاري وأحمد والحاكم .
(٦) سيرة الرسول أبو عمار ١٨٧ - ١٨٨ .

ابن إسحاق - وزوجته وابنه ، فلما أجمع على الخروج قال له أصهاره: هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه؟ علام نتركك تسير بها فى البلاد؟ فأخذوا منه زوجته ، وغضب آل أبى سلمة لرجلهم فقالوا: لا نترك ابننا معها إذ نزعتموها من صاحبنا ، وتجاذبوا الغلام بينهم فخلعوا يده ، وذهبوا به وانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة .

وكانت أم سلمة رضى الله عنها بعد ذهاب زوجها وضياع ابنها تخرج كل غداة بالأبطح تبكى ؛ حتى تمسى ومضى على ذلك نحو سنة فرَقَّ لها أحد ذويها وقال: ألا تخرجون هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وولدها فقالوا لها: الحقى بزوجك إن شئت ؛ فاسترجعت ابنها من عصبته وخرجت تريد المدينة- رحلة تبلغ حوالى خمسمائة كيلو متر تمر بين شواهق الجبال ومهالك الأودية - وليس معها أحد من خلق الله ؛ حتى إذا كانت بالتنعيم لقيها عثمان بن طلحة وبعد أن عرف حالها شيعها ؛ حتى أقدمها إلى المدينة فلما نظر إلى قباء قال: زوجك فى هذه القرية فادخليها على بركة الله ثم انصرف راجعًا إلى مكة[1] .

٢- ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبى سلمة عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبى حشمة فهى أول ظعينة[2] قدمت المدينة ثم قدم أصحاب رسول الله أرسالاً فنزلوا على الأنصار فى دورهم فآووهم ونصروهم وآسوهم[3] .

هَجْرَةُ عُمَر بنِ الخَطَّابِ وَقِصَّة عياش مَعَهُ :

قال ابن إسحاق: حدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه عمر بن الخطاب قال: أتعدتُ لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبى ربيعة وهشام ابن العاص بن وائل السهمى التناضب[4] من أضاة بنى غفار فوق سرف وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه ، قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبى ربيعة عند التناضب وحبس عنا هشام وفتن فافتتن .

---

(١) الرحيق المختوم ١٤٨ .

(٢) ظعينة المرأة التي في الهودج .

(٣) فقه السيرة للبوطي ١٣٦ - ١٣٧ .

(٤) التناضب: اسم موضع قريب من مكة .

فلما قدمنا المدينة نزلنا فى بنى عمرو بن عوف بقباء وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام بن عياش بن أبى ربيعة وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما ؛ حتى قدما علينا المدينة ورسول الله بمكة فكلماه وقالا: إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط ؛ حتى تراك ولا تستظل من شمس حتى تراك فرق لها ؛ فقلت له: يا عياش إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت ، فقال: أبر قسم أمى ولى هنالك مال فآخذه فقلت: والله إنك لتعلم أنى لمن أكثر قريش مالاً فلك نصف مالى ولا تذهب معهما قال: فأبى علىَّ إلا أن يخرج معهما فلما أبى إلا ذلك قلت له: أما إذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتى هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها ؛ فإن رابك من القوم ريب فانجح عليها .

فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: يا بن أخى والله لقد استغلظت بعيرى هذا ؛ أفلا تعقبنى على ناقتك هذه؟ قال: بلى ، قال: فأناخ وأناخ ليتحول عليهما ، فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن .

قال: فكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صرفًا ولا عدلاً ولا توبةً قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم! قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم فلما قدم رسول الله المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفى قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٥] .

قال عمر: فكتبتها بيدى فى صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص فقال هشام: فلما أتتنى جعلت أقرؤها بذى طوى[1] أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها ؛ حتى قلت: اللهم فهمنيها ، قال: فألقى الله تعالى فى قلبى أنها أنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول فى أنفسنا ويقال فينا قال: فرجعت إلى بعيرى

(١) بذي طوى: مكان أسفل مكة .

فجلست عليه فلحقت برسول الله وهو بالمدينة[١] .

هِجْرَةٌ رغْمَ أُنُوفِ المشْرِكِينَ:

عندما أراد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يهاجر إلى المدينة وقف أمام المشركين موقفًا أذل فيه أنوفهم وأظهر عجزهم وألقى الرعب فى قلوبهم .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال لى على بن أبى طالب: ما علمت أن أحدًا من المهاجرين هاجر إلا متخفيًا إلا عمر بن الخطاب ؛ فإنه لَمَّا هَمَّ بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه ، وانتضى فى يديه أسهمًا واختصر عنزته[٢] ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعًا متمكنًا ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة وقال: لهم شاهت[٣] الوجوه ؛ لا يرغم الله إلا هذه المعاطس[٤] من أراد أن تثكله أمه ويوتَم ولده ويرمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى .

قال على: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم ومضى لوجهه[٥] .

العِبَرُ وَالعِظَاتُ:

كانت فتنة المسلمين من أصحاب النبى ﷺ فى مكة فتنة الإيذاء والتعذيب وما يرونه من المشركين من ألوان الهزء والسخرية .

فلما أذن لهم الرسول بالهجرة أصبحت فتنتهم فى ترك وطنهم وأموالهم ودورهم وأمتعتهم .

ولقد كانوا أوفياء لدينهم مخلصين لربهم أمام الفتنة الأولى والثانية قابلوا المحن والشدائد بصبر ثابت وعزم عنيد .

وهذا هو المثل الصحيح للمسلم الذى أخلص الدين لله: لا يبالى بالوطن ولا بالمال

---

(١) ابن هشام ١ / ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢) عنزة: مثل نصف الرمح أو أكبر شيئا .

(٣) شاهت: قبحت .

(٤) المعاطس: الأنوف .

(٥) سيرة الرسول أبو عمار ص ١٩٢ .

والنسب فى سبيل أن يسلم له دينه ؛ هذا من أصحاب رسول الله ﷺ فى مكة ، أما أهل المدينة الذين آووهم فى بيوتهم وواسوهم ونصروهم فقد قدموا المثل الصادق للأخوة الإسلامية والمحبة فى الله عز وجل[1] .

موقف عمر بن الخطاب مع عياش أثناء هجرتهما إلى المدينة فلما قرر عياش العودة إلى مكة ؛ ليبر قسم أمه أعطاه عمر بن الخطاب بعيره حتى يعود عليها للمدينة ، ثم كتب الآيات القرآنية التى نزلت فى القوم الذين عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم .

هذا الموقف يبين لنا ما يجب أن يكون عليه الصاحب مع صاحبه بأن يساعده على طاعة الله .

* * *

(١) فقه السيرة للبوطي مختصرًا .